البحرين قراءة جديدة في مصادر التاريخ العثماني

د. محمود عبد الواحد محمود   د. مؤيد محمود حمد
كلية الآداب / جامعة بغداد   كلية التربية / جامعة تكريت

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

قبل أكثر من خمسةِ قُرُون وَصَفَ عالمُ الجغرافية السياسية هنري مالكندر (**Henry Makender**) أنَّ الخليجَ العربِّي كان من أبرزِ محاورِ العلاقات الدولية في العالم ، فالأهميّة الاقتصادية والإستراتيجية لهذا الممر المائي أثرَتْ وطَبَعت العلاقات الدولية في ظل النظام الدولي القديم والنظام الدولي الحديث على السواء ، بصراعاتٍ كبيرةٍ بين مختلف القوى الدولية ، لِكون الخليج العربي يُعَدُّ من بين المراكز الرئيسة المؤثِّرة في توازن القوى الدولية ، وخاصَّة في الجوانب الاقتصادية ، من هنا جاءت مهمة الدولة العثمانية في الدفاع عن الوطن العربي والعتبات المقدسة تحديداً ضد الغزو الأوربي ، الذي أخذ أشكالاً متعددةً (اقتصادي ، ديني وسياسي) ، وبخاصَّة بعد أن ورث العثمانيون الصراعَ بين البرتغاليين والمماليك ، بعد ضمهم لِمِصْرَ عام ١٥١٧ .

أخذَ هذا الصراعُ اتجاهين ، كان الأول الغزو الأسباني التي سعت لمد نفوذها وسيطرتها على حوض البحر المتوسط انطلاقاً من دول المغرب العربي بعد السيطرة الاسبانية عليها بعد انهيار دولتي الموحدين والمرابطين في المغرب .

أما الاتجاه الثاني فَتبنَّاهُ البرتغاليون وبخاصّة بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ في محاولة منهم لمحاصرة المماليك والقضاء على منافذهم التجارية مع آسيا في البحر الأحمر والمحيط الهندي، لذلك تَرَكَّزَ الصراعُ نحو المنطقة الأضعف وهي الخليج العربي ، إذ شهدت في نفس الحقبة الزمنية التي كانت تسعى فيها القوى الأوربية للسيطرة على منطقة الخليج

العربي . ومن بين العوامل التي أضعفت مقاومة الغزو الأوربي للخليج العربي حدوث الصراع بين القوى الإسلامية في المدة نفسها بين الصفويين والعثمانيين بعد الصدام الأول بين الدولتين في عام ١٥١٤ في معركة جالديران واستمر ذلك الصراع في القرون اللاحقة مما ساهم في إضعاف المنطقة العربية التي أمست منطقة صراع بين الدول الاسلامية الكبرى من جهة ، والقوى الأوربية المتطلعة إلى استغلال موارد المنطقة العربية اقتصاديا من جهة أخرى .

لذلك سيركز هذا البحث على واحدة من مناطق الصراع المهمة في الخليج العربي وهي منطقة البحرين ، التي شهدت صراعاً أوربياً عثمانياً وفي مدة لاحقة شهد صراعاً بين القوى الأوربية نفسها ، وكان ذلك من خلال الوثائق العثمانية التي كشفت عن أسرار ذلك الصراع المرير بين القوى العثمانية والعربية من جهة والقوى الأوربية والقوى المتحالفة معها من جهة أخرى .

لذلك بدأت الدولة العثمانية – في محاولة منها لوقف التغلغل الأوربي في منطقة الخليج العربي– ، لكن موقف الدولة العثمانية هذا كان لغرض السيطرة على المنطقة بل إنها ساهمت في أضعاف اليعاربة والقواسم وجميع القوى المحلية التي كانت تنشد التحرر والاستقلال عن السيطرة الأجنبية مهما كان نوعها.

موقع وأهمية البحرين:

تشكل البحرين أهمية متزايدة في تاريخ الخليج العربي ، فهي قاعدة بحرية عربية قديمة ، مارست النشاط التجاري مع الموانئ الأسيوية المختلفة . وأطلق اسم (البحرين) منذ القرن الثالث وحتى القرن السادس عشر الميلادي على المنطقة الواقعة على الساحل الغربي من الخليج العربي من البصرة إلى عمان ، وتشمل حالياً الكويت والإحساء والقطيف وشبه جزيرة قطر وجزر البحرين ، واقتصرت التسمية في الوقت الحالي على جزر مستطيلة الشكل تقع في خليج يسمى (بحر سلوى) بالقرب من الساحل الغربي للخليج العربي ، وتتكون من عدة جزر تزيد في عددها على ثلاثين جزيرة [1] . وتتمتع هذه الجزر بمركز تجاري وموقع طبيعي متميز ، فهي حلقة وصل بين موانئ الخليج العربي والمحيط الهندي ، وتتوفر فيها مصائد اللؤلؤ ذائعة

الصيت ، وتمتاز كذلك بخصوبة التربة ووفرة المياه ، ولبساتين النخيل فيها شهرة خاصة . وقد جعل منها ذلك الموقع وتلك الثروة موضعاً لمطامع الغزاة عبر التاريخ (٢) .

إلى جانب تلك الأهمية المشار إليها ، اشتهرت البحرين بالبساتين ، وكانت تضم في القرن الرابع عشر الميلادي ثلاثمائة قرية ، فتحول التجار البحرانيون إلى تجار أثرياء لاستفادتهم من العمل في التجارة (٣). وبناءً على ثبوت هذه الحقائق ، اتجهت أنظار القوى الأوربية والمحلية والإقليمية إلى البحرين منذ بداية العصور الحديثة ابتداءً من البرتغاليين ، والصفويين والعثمانيين والبريطانيين وانتهاءً بالسعوديين والمصريين في القرن التاسع عشر .

كانت تجارة اللؤلؤ تنتقل من البحرين إلى هرمز ومنها إلى أوربا وسورات في الهند ، وقدرت قيمتها في ذلك الوقت بحوالي ثلاثة ملايين باون انكليزي (٤) .

أثار احتلال البرتغاليين للخليج العربي منذ بداية القرن السادس عشر ، والبحرين بشكل خاص سنة١٥٢١ ردود أفعال مختلفة للقوى المحلية والإقليمية في المنطقة ، إلى جانب تأجيج المقاومة الباسلة لأهل البحرين منذ بداية الاحتلال البرتغالي (٥) . وإلى جانب المقاومة الوطنية البحرانية ، آثار الاحتلال اهتمام القوى الإسلامية الناشئة في المنطقة ، ولاسيما المماليك والعثمانيين والصفويين ، على الرغم من المواقف السلبية المتواصلة للقوة الأخيرة طيلة تأريخها .

البحرين في المخططات العثمانية:

وفي ما يخص علاقة العثمانيين بالخليج العربي عموماً ، والبحرين على نحو خاص ، تنامى الاهتمام العثماني بالخليج العربي منذ منتصف النصف الأول من القرن السادس عشر . فقد بلغت الدولة العثمانية درجة عالية من القوة العسكرية والسياسية عندما بدأ العثمانيون غزوهم للبحار الشرقية في القرن السادس عشر ، وكان من الطبيعي أن تتجه إليها أنظار بعض القوى الإسلامية المحلية والإقليمية التي تعرضت لذلك الغزو أو التي تضررت لذلك الغزو أو التي تضررت بقيامه . وإذا كانت الحملات العثمانية الأولى للخليج العربي غير ناجحة ، بسبب اتساع جبهات الدولة العثمانية ، وعدم اتضاح اهتمامها بالخليج العربي ، فان وصول العثمانيين إلى البصرة عام ١٥٤٦ كان إيذانا بدخول الصراع العثماني البرتغالي مرحلة جادة فجرت

العواطف الدينية وصار الخليج العربي مسرحاً لعمليات عسكرية بين العثمانيين الذين يعملون لمد نفوذهم الفعلي من شماله إلى جنوبه والقضاء على الوجود البرتغالي فيه ، والبرتغاليون الذين يعملون على استمرار تسلطهم وذلك بالقضاء على الوجود العثماني شمال الخليج العربي (٦) . فقد وجه العثمانيون سلسلة من الحملات العسكرية للقضاء على الوجود البرتغالي في المنطقة بين السنوات (١٥٣١ –١٥٨٥). وعلى الرغم من فشل العثمانيون في تحقيق نتائج واضحة لإنهاء الوجود البرتغالي ، إلا أن هذه الحملات كانت بداية مهمة لاتساع اهتمام العثمانيين بالخليج العربي عموماً ، والبحرين على نحو خاص . وبدأ المؤرخون العثمانيون والمسئولون يكتبون عن هذه المنطقة تاركين مصادر مهمة لا يستغني عنها المؤرخ لتاريخ الخليج العربي والبحرين على نحو خاص .

وتعد مذكرات القائد العثماني سيدي علي ريس من المصادر العثمانية المهمة ، إذ انه كان معاصراً للأحداث ، وعهد إليه قيادة الأسطول العثماني وتخليص السفن العثمانية في البصرة وإيصالها إلى السويس بمصر . وقد دون معلوماته في كتابه المعروف (مرآة المماليك) (٧) .

فبعد فشل حملة بيري بيك سنة ١٥٥١ وتدني سمعة الأسطول العثماني في الخليج العربي ، اصدر السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ – ١٥٦٦) أوامره بتعيين مراد بيك ، حاكم القطيف السابق قائدا للأسطول . وقد أمره السلطان بترك سفينتين وخمسة كاليات في البصرة لحمايتها من الهجمات البرتغالية المحتملة ، على ان يعود بخمس عشرة سفينة إلى السويس (٨) .

وقدَّم سيدي علي ريس في مذكراته المنشورة المترجمة للانكليزية معلومات تفصيلية عن هذه الحملة . وطبقاً لمذكرات سيدي علي ريس فقد غادر مراد بيك البصرة سنة ١٥٥٣ ، وبالقرب من هرمز واجه الأسطول البرتغالي بقيادة (دي نورنها) معركة شرسة قتل فيها عدد من القادة العثمانيين ولعل أبرزهم رجب ريس وسليمان ريس ، وجرح عدد كبير منهم واسر آخرون ، وتعرضت السفن العثمانية إلى أذى كبير ، لذلك عاد مراد بيك . بما تبقى من سفن الأسطول إلى البصرة (٩) . ولتجاوز هذه المحنة ، عين السلطان العثماني القائد البحري سيدي علي ريس ، وكان من أعلام السلاح البحري العثماني وله أعمال باهرة في تاريخ البحرية العثمانية ،عينه

قائداً للأسطول العثماني فتحرك حتى وصل إلى حلب سنة ١٥٥٣ ، ثم وصل إلى البصرة في أول شباط سنة ١٥٥٤ . وهناك قابل متسلم البصرة مصطفى باشا ، فسلم له خمس عشرة سفينة من نوع كالي . فتم إصلاحها وتزويدها بالمدافع والبارود والبحارة والمؤن وبدأ ينتظر موسم الرياح الموسمية التي تبدأ بعد خمسة أشهر [١٠] .

النزاع العثماني البرتغالي في البحرين:

التقى الأسطول العثماني بالبرتغاليين عند مسقط وقلهات والبحرين ، وبدأت هناك معركة تعد من أشرس المعارك من كلا الجانبين ، وصف بيري علي ريس شراستها في مذكراته قائلاً:((حتى الحرب بين خير الدين باشا واندريا دوريا لم تحصل بهذا المستوى)) [١١] . إلا أن هذه المعارك لم تحقق نتيجة تذكر ، ولقي ما تبقى من الأسطول العثماني الأهوال بسبب معاكسة الرياح وشدة العواصف البحرية بالقرب من ساحل مكران ، ولجأ ـ في آخر الأمر إلى ساحل سورات ، فاهدى سيدي علي ريس ما تبقى من سفنه ومدافعه إلى حاكم كجرات وعاد براً إلى الأستانة عن طريق بغداد ، إذ وصل إليها في حزيران عام ١٥٥٧ مع خمسين رجلاً من أتباعه فقط [١٢] . وكانت هذه المعركة قد عززت من الوجود البرتغالي في الخليج العربي والبحرين ، وأدت إلى إضعاف البحرية العثمانية .

ومهما يكن ، فان معلومات سيدي علي ريس تحتل مكانها اللائق بين المصادر العثمانية باعتباره معاصراً للأحداث ، وقدم معلومات عسكرية وجغرافية مهمة عن الخليج العربي وبضمنه البحرين .

ويعد المؤرخ التركي الدكتور صالح اوزبران من المؤرخين الاتراك المعاصرين الذين قدموا دراسة معمقة عن تاريخ الخليج العربي في أطروحة للدكتوراه تحمل عنوان : **the Ottoman Turks and the Portuguese in the Arab Gulf 1534-1581.** والتي نشر ملخصاً عنها باللغة التركية في (مجلة التاريخ الآسيوي **Journal of Asian History**) في عددها السادس الصادر عام ١٩٧٢ . وقام الدكتور عبد الجبار ناجي بترجمة هذا الملخص إلى اللغة العربية ، وصدر عن (مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة) في عام ١٩٧٩ . وكما يؤكد المترجم فان الباحث قد تتبع

موضوع الصراع العثماني – البرتغالي في الخليج العربي منذ وصول البرتغاليين إلى البحر الأحمر ومنطقة الخليج العربي ، وكذلك من الجهة الثانية منذ وصول العثمانيين البصرة في سنة ١٥٤٦ بعد احتلالهم بغداد سنة ١٥٣٤ . وركز بعد ذلك على الأحداث التاريخية والعسكرية التي وقعت بين هاتين القوتين اللتين تقاسمتا سيادة المنطقة(١٣) .

وفي ما يخص البحرين ، قدم المؤرخ اوزبران معلومات مهمة وموثقة ، أشار فيها إلى أن للبحرين الواقعة بين الحسا وقطر ـ موضعا وسطاً ذا أهمية غير قليلة على الطريق البحري بين هرمز والبصرة . وكانت أيضاً مركزاً لصيد اللؤلؤ في الخليج العربي . ولذلك ، فان هذه الجزر كثيراً ما تجلب اهتمام جيرانها الأقوياء . فالبرتغاليون بعد دحرهم حاكم الجزيرة المحلي مقرن (١٤) . سنة ١٥٢١ سعوا إلى فرض بعض النفوذ والتأثير على الجزيرة . وفي سنة ١٥٣٥ـ أي بعد فتح العثمانيين لبغداد سنة ١٥٣٤ـ أرسل حاكم البحرين رسالة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠– ١٥٦٦) عبرَّ فيها عن خضوعه للدولة العثمانية . وكان حاكم البحرين يحول ولائه مرة إلى هذا وأُخرى إلى ذاك بين جيرانه الأقوياء ، معتمداً في ذلك على مدى ما يقدمه له كل منهما من منافع (١٥) . وارتبط ذلك بمحاولة حكام البحرين في الحفاظ على استقلال بلادهم وإتباع سياسة دبلوماسية للتخلص من الاحتلال المباشر .

وقدم هذا المؤرخ التركي معلومات مهمة عن طبيعة الارتباط الإداري للبحرين بالدولة العثمانية . فقد منح السلطان العثماني لحاكم البحرين لقب سنجق بيك في سنة ١٥٥٩. وعلى الرغم من ذلك ، فان النفوذ البرتغالي في الجزيرة لم يكن قليلاً (١٦) .

وقد قيَّم الدكتور اوزبران نتائج الصراع العثماني – البرتغالي في الخليج العربي بتأكيده على انه في الوقت الذي وصل فيه العثمانيون إلى رأس الخليج العربي عام ١٥٤٦ وجدوا البرتغاليين قد وطدوا أنفسهم جيداً في هرمز ـ ذلك المركز الرئيسي ـ ومحور التجارة البحرية مع الهند . فكانت حملاتهم الموجهة نحو المنطقة تستهدف السيطرة على هرمز ذات الموقع المؤثر في التجارة الدولية في تلك الحقبة كما إذ بدؤوا يوجهون أنظارهم إلى المناطق التابعة إلى مملكة هرمز ومنها البحرين وذلك لان الملاحة البرتغالية كانت متفوقة على البحرية العثمانية . ومع ذلك فان العثمانيين قد سيطروا على مناطق البصرة والحسا ، فهيمنوا بذلك على النقل البري

من حلب واليها ، وشجعوا على تدفق التجارة عبر الخليج العربي . مع ذلك فان تجارة التوابل لم تتأثر بالسيطرة البرتغالية خلال القرن السادس عشر ، على عكس الوضع التجاري في البحر الأحمر(١٧) .

ومن الجدير بالذكر أن أرشيف (Muzesi) في طوب قوبي سراي قد احتوى على معلومات مهمة عن البحرين ، ولاسيما المجلدات : ٧,٣,٢٢,٢٧ .إذ أن هذه الوثائق العثمانية تتبعت تاريخ البحرين في القرن السادس عشر ، وطبيعة التنافس العثماني – البرتغالي . وأكدت معلومات هذه الوثائق أن حملة بيري ريس سنة ١٥٥٩ كانت موجهة للسيطرة على هرمز والبحرين . إلا أن العثمانيين لم يقوموا بعمل جدي للسيطرة على البحرين حتى عام ١٥٥٩ ، ففي هذه السنة اخذ مصطفى باشا ، بيلربي الحسا ، على عاتقه ثم القيام بحملة ضد الجزيرة . وقد اتخذ إجراء القيام بهذه الحملة دون موافقة السلطان العثماني سليمان القانوني ، إذ انه اعتمادا إلى أمر من السلطان سليمان قد أرسل إلى أمير البحرين مؤرخاً في ٢٨ ذي الحجة ٩٦٦ هـ / الأول من تشرين الأول ١٥٥٩ أشار فيه السلطان بشكل واضح إلى الحقيقة بان العمل الذي قام به مصطفى باشا دون اخذ أمر اسطنبول (١٨) .

وتحدد هذه الوثائق التركية عدد السفن والمقاتلين . فقد سار مصطفى باشا نحو جزر البحرين بسفينتين كبيرتين من نوع **Kadirga** وسبعين خفيفة مختلفة النوع وسفينة واحد من نوع **Brigantine** . وكان برفقته (١٢٠٠) جندياً بضمنهم عدد من انكشارية بغداد وكميات كبيرة من التجهيزات والمؤن والذخيرة (١٩) .

وقد لفت صفوت بيك الأنظار إلى بعض التفاصيل عن تاريخ البحرين بنشره عدد من الوثائق خلال السنين الأخيرة ببحوث ودراسات معتمداً على وثائق الأرشيف العثماني ، وهي ثلاث وثائق تختص بالبحرين عثر عليها في سجل (MD) مهمة دفتري رقم ٣) بينما توجد وثائق اخرى في السجل نفسه . وقد عنون صفوت بك هذه الوثائق بإسم (حادثة في البحرين)(٢٠) ، قدمت معلومات مهمة عن تاريخ البحرين في القرن السادس عشر .

وقدم المؤرخ التركي البروفيسور اورهونلو تفاصيل أخرى أيضا عن رد الفعل البرتغالي من الحملة العثمانية التي قادها مصطفى باشا عام ١٥٥٩ . فقد قام البرتغاليون بإرسال أسطول من عشر سفن إلى رأس الخليج العربي لمهاجمة البصرة ، ووقعت اشتباكات متعددة بين العثمانيين والبرتغاليين لم تؤد إلى نتيجة حاسمة لصالح أي من الطرفين في تلك المدة [٢١] .

وقد عثر على هذه الوثيقة في (متحف طوب قبو سراي) **N.e 3004** وهي مكتوبة بقلم شخص شارك في تلك الحملة التي وجهتها الدولة العثمانية ، وتقع في اربع صفحات وهي تلقي ضوءاً على بداية الحملة وأسبابها وتشير بشكل واضح على فعالية مصطفى باشا الذي كان يشغل منصب بكلربكي في الإحساء ، ويبدو أن تلك الوثيقة كانت محررة على صورة تقرير لايوجد عليه تاريخ الكتابة ولا اسم الكاتب ، لكنها تعود إلى حملة البحرين سنة ١٥٥٩م / ٩٦٦هـ [٢٢] .

ويبدو إن كاتب التقرير تم تعيينه رئيسا لسنجق تابع لايالة الإحساء وأرادَ أن يستعلم عن كيفية السفر إلى إذ صدر له الأمر . وأشارت الوثيقة في ١٣ رمضان من عام ٩٦٦ هـ بوشر إلى حصار قلعة البحرين . وفي ٢٦ من رمضان ظهرت إلى العيان (٢٢) سفينة برتغالية من نوع (غراب) . منها عشر سفن متجهة نحو البصرة ، أما السفن (١٢) البرتغالية الباقية فانسحب البرتغاليون أمام السفينتين كخدعة بحرية منهم ، وظل محمد بيك يتعقبهم ، بيد انه أخيراً اضطر إلى التراجع دون أن يبلغ مقصده في القضاء على السفن البرتغالية [٢٣] .

وقدمت الوثيقة معلومات تفصيلية عن الحملة من الجانبين البرتغالي والعثماني ، مما لم يتوفر في المصادر الأخرى . وهكذا فان هذا المصدر العثماني يشكل أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ البحرين الحديث .

وقدمت المصادر والوثائق العثمانية معلومات تفصيلية أخرى عن البحرين فمنها أساليب المقاومة للوجود البرتغالي في الخليج العربي في القرن السادس عشر ، ولا بد من التأكيد على إن الكثير من هذه المصادر والوثائق ما تزال بلغتها التركية ويتطلب ترجمتها إلى اللغة العربية . ومن شأن اطلاع المؤرخ العربي عليها أن يغير بعض قناعاته وتحليلاته عن طبيعة العلاقات

العثمانية مع الخليج العربي وموقف الدولة العثمانية حين ذاك من الغزو البرتغالي عموماً والبحرين على نحو خاص .

بدايات الصراع العثماني البريطاني في البحرين:

لم تقتصر المصادر والوثائق العثمانية بشان البحرين على القرن السادس عشر ، بل شملت القرون التالية السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين وخاصة بعد ان دخلت قوى أوربية ومحلية وإقليمية جديدة في الصراع كالبريطانيين والهولنديين والفرنسيين والعمانيين والفرس والمصريين .

وقد عمق الاحتلال المصري للجزيرة العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وتهديدهم للبحرين الاهتمام بهذه الجزيرة ، وزاد من الكتابات العثمانية بشأنها .

وهكذا فقد زادت أهمية البحرين بالنسبة للعثمانيين منذ بداية العقدين (السابع و الثامن) من القرن التاسع عشر . فأثناء تقدم القوات العثمانية باتجاه الإحساء عام ١٨٧١ ، ظهرت مسألة الادعاءات العثمانية بالسيادة على البحرين . فقد أكد مدحت باشا ، والي بغداد (١٨٦٩ – ١٨٧١) على ان البحرين هي احد الأقاليم التابعة لنجد . وظلت مسألة السيادة عليها مدار نقاش بين الباب العالي والحكومة البريطانية ، ومن ثم لم تحسم قضية التنافس على الجزيرة [٢٤] .

إن هذا التنافس البريطاني العثماني أدى إلى زيادة تناول البحرين في المكاتبات الرسمية العثمانية . وفي الوقت ذاته ، اخذ البريطانيون يحسون بضرورة تأكيد سيطرتهم على البحرين بعد مشكلات الحملة المصرية الثانية (١٨٣٤ – ١٨٣٩) في الجزيرة العربية وسواحلها الشرقية وبضمنها البحرين . فقد كانت تلك الحملة التي رافقت الحملة المصرية الأولى والثانية على بلاد الشام (١٨١١ – ١٨٣٤) التي لم تكترث إليها الحكومة البريطانية في بداياتها الأولى لأنها لم تكن تشعر بخطر محمد علي أو الوجود الفرنسي من خلاله ، لكنها كما يبدو قد شعرت بخطر حقيقي على مصالحها في الخليج بشكل عام والبحرين بشكل خاص بعدما أدركت إن خطط خورشيد باشا كانت تستهدف السيطرة على البحرين ثم الاستدارة منها على

البصرة ثم بغداد حتى يتمكن محمد علي من تحقيق حلمه في تحقيق إمبراطورية عربية تضم بلاد الشام والجزيرة العربية والعراق.

وثائق عابدين

وهي وثائق تاريخية مهمة مفهرسة في (دار الوثائق التاريخية القومية في القلعة) ، مكتوبة باللغة التركية القديمة ومترجمة إلى اللغة العربية . وفي ما يخص تاريخ البحرين هنالك العديد من المحافظ الخاصة بها وهي المرقمة :

٢٧٠، ٢٦٧ ،٢٦٦ ، ٢٦٤ للأعوام ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ هجرية الموافق ١٨٣٧، ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ و ١٨٤٠ ميلادية [٢٥] ، وهي متزامنة مع الحملة المصرية الثانية نحو الجزيرة العربية التي كانت البحرين جزءاً من مخططاتها .

وتوضح بعض هذه الوثائق ، مثل الوثيقة رقم (٩٤) /معية سنية – براً وبحراً ، وهي مكاتبة من إبراهيم باشا إلى والده (محمد علي باشا) عام ١٢٣٣هـ /١٨١٧ م ان محمد علي كان قد خطط لاحتلال الإحساء والوصول إلى الخليج العربي والبحرين على نحو خاص هو وابنه إبراهيم قبل فتحهم للدرعية عام ١٨١٨ [٢٦] .

قدمت هذه الوثائق معلومات تفصيلية ومهمة عن أهمية البحرين في الستراتيجيتين المصرية والبريطانية في اواخر ثلاثينيات القرن التاسع عشر . وإذ أشارت إحدى الوثائق [٢٦] إلى خطر سيطرة (مبارك) ابن الشيخ عبد الله حاكم البحرين على قلعة الدمام على الوجود المصري في الإحساء .

وأشارت وثيقة أخرى [٢٨] إلى علاقة شيخ البحرين بالهواجر . فقد تزوج شيخ البحرين من بنت شافير (شافعي) شيخ الهواجر .

وتحدثت هذه الوثائق أيضاً [٢٩] عن الاتصالات بين شيخ البحرين عبدالله بن احمد وخورشيد باشا ، بعد فشل الأول في الحصول على مساعدة بريطانيا أو حكومة بغداد أو حاكم

بلاد فارس لمواجهة الخطر المصري . وتتبعت هذه الوثائق أيضاً طبيعة المفاوضات بين المصريين وشيخ البحرين ، والضمانات التي قدمها المصريون للشيخ عبد الله .

و إلى جانب ذلك ، احتوت وثائق عابدين العثمانية على معلومات دقيقة عن طبيعة العلاقات البريطانية مع إمام مسقط ومحاولات استمالته بتشجيعه على احتلال البحرين . وضمت ايضاً نص الاتفاقية الموقعة بين الشيخ عبد الله ومحمد أفندي ، نائب خورشيد باشا في الإحساء ، علاوة على تحدي الشيخ عبد الله للبريطانيين ورفضه التنازل عن اتفاقه مع محمد علي . وقدمت الوثائق معلومات تفصيلية مهمة عن الضغوط البريطانية والفارسية (٣٠) .

وهكذا ، فان وثائق عابدين قد احتلت أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ الخليج العربي عموماً وتاريخ البحرين على نحو خاص ، وقدمت مادة أولية لا يستغني عنها لدراسة تاريخ البحرين الحديث .

وثائق الارشيف العثماني في اسطنبول :

وهو أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في اسطنبول ، ويحتوي على وثائق مهمة عن تاريخ الخليج العربي عموماً ، وتاريخ البحرين على نحو خاص . ومن أهم وثائق هذا الأرشيف الدفاتر المرقمة (١١١) التي تؤكد تواجد العتوب في البحرين منذ سنة ١١١٣ هـ / الموافق ١٧٠١م.

وتؤكد الوثيقة المؤرخة في ١١١٣ هـ (١٧٠١ م) أن العتوب والخليفات يقيمون في البحرين ويسكنون قرب بندر فريحة وبندر كونك . وكانوا سبع أو ثماني عشائر وكلهم عرب شافعيون وحنابلة (٣١) . وإلى جانب هذه الوثيقة ، فقد احتوى الأرشيف العثماني في اسطنبول على وثائق أخرى عن البحرين التي يمكن أن تضيف إلى معلوماتها حقائق مهمة عن طبيعة العلاقة بين القبائل العربية في الخليج العربي عموماً وبضمنه البحرين منذ بداية العصر الحديث .

واتضح إن المصادر والوثائق العثمانية قدمت معلومات مهمة عن البحرين في العصر الحديث بدءاً من القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر . ويدل هذا الاهتمام

العثماني بالبحرين على الأهمية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للبحرين في الستراتيجية العثمانية . وربما يرتبط هذا الاهتمام أيضاً بشهرة البحرين التاريخية باعتبارها احدى المراكز البحرية التي أدت دوراً مهماً في تاريخ القوى البحرية في الخليج العربي ، مما اجتذب إليها القوى الإقليمية والدولية .

مع ذلك ، فان الباحث في المصادر العثمانية حول البحرين يعاني من عدة مشكلات ولعل في مقدمتها عدم إمكانية الوصول إلى هذه المصادر والوثائق لوجودها في دول متعددة مثل مصر ، العراق ، تركيا ، وبعض الدول الخليجية الأخرى التي ارتبط تاريخها بتاريخ البحرين ، ومن الجدير بالذكر إن غالبية هذه الوثائق ما زالت مكتوبة إما باللغة العثمانية القديمة أو اللغة التركية الحديثة مما يتطلب معرفة اللغة التركية لتسهيل التعامل معها والإفادة من معلوماتها .

المصادر

(١) إبراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ – ١٩٧٠ ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٠ ؛ د. فائق حمدي طهبوب ، تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ – ١٨٧٠ ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص٣٠.

(٣) خضير نعمان العبيدي ، البحرين من إمارات الخليج العربي ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ص ١٩–٢٠ ؛

William Spencer, The Middle East , Connectiut , 1976 , p.43.

(4) Abbas Faroughy , The Bahrein Islands , New Yoek , 1951 , p.62.

(٥) للتفاصيل عن الاحتلال البرتغالي للبحرين ، ينظر :نايف محمد حسن الاحبابي ، الموقف العربي والإقليمي من الهيمنة البرتغالية في الخليج العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ص ١١٦– ١١٨ ؛ خالد العربي،

الخليج العربي من ماضيه وحاضره ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ١٠٧؛
Arnold Wilson , The gulf , London , 1954 , p.124.

(٦) نايف محمد حسن الاحبابي ، المصدر السابق ، ص٨٣، ص ص ٩٧-٩٨ ؛ قدري قلعجي ، الخليج العربي ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢٧٢- ٢٧٣.

(٧) نايف محمد حسن الاحبابي ، المصدر السابق ، ص٨ .

(8) Sidi Ali , The Travels and Adventures of the Turkish Admiral Sidi Ali Reis In India , Afghanistan , Central Asia and Persia , during the Yeas 1553-1556 , (Trans) by A. Vamber , (London , 1899) , pp . 4-5 .

(9) Ibid . , p p.5-6. (10) Ibid . ; (Toussaint , History of the Indian Ocean , London , n.) , pp .8-9 .

(11) Sidi Ali Reis , o p . cit , pp.13-14.

والإشارة أعلاه إلى معارك خير الدين بربروسا واخاه عروج في سواحل الشمال الإفريقي ضد الإسبان .

(12) Ibid .

(١٣) د. صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١ ، ترجمة وتعليق الدكتور عبد الجبار ناجي ، بغداد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٧٩ ، من مقدمة المترجم ص٧ .

(١٤) وهو الأمير الجبري مقرن بن زامل ، الذي تصدى بقوة للاحتلال البرتغالي ، وجرح في إحدى المعارك ومات متأثرا بجراحه عام ١٥٢١ . للتفاصيل ينظر :

Abbas Faroughy, op . cit , p.62.

(١٥) د. صالح اوزبران ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ص ٥٢- ٥٣ .

(١٧) د. صالح اوزبران ، المصدر السابق ، ص ص ٥٩-٦٠ .

(١٨) للحصول على معلومات تفصيلية يمكن مراجعة مقالة صفوت بك بالتركية عن البحرين بعنوان **Bahreyn ' de Bir vak'a** المنشورة في كتاب :

Tarih – I Osmani Encumeni Mecmuasi , vol.3 , Istanbul , 1910, p.1142.

(١٩) الوثائق المشار إليها ، مقتبس من صالح اوزبران ، المصدر السابق ، ص ص ٥٣–٥٤.

(٢٠) البرفسور ي– اورهونلو ، تقرير حول الحملة العثمانية على البحرينة ١٥٥٩ ، دراسات في تاريخ الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٤، السنة ٦ ، تشرين الاول ١٩٨٠، ص ٢١١ .

(٢١) للتفاصيل عن رد الفعل البرتغالي ، ينظر المصدر نفسه ، ص٢١٢ . وهذا التقرير نشره شخص عثماني شارك في حملة سنة ١٥٥٩ ن وقدم تفاصيل عن بدء الحملة واسبابها . للمقارنة ينظر : نايف محمد حسن الاحبابي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٢٢) البرفسور ي– اورهونلو ، المصدر السابق ، ص٢١١.

(٢٣) المصدر نفسه ، ص٢١٢.

(٢٤) للتفاصيل ينظر : عمر محمد جعفر القرالة ، السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي ١٨٦٩–١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٢٤–١٤١.

(٢٥) فريمان جرنفيل ، التقويمان الهجري والميلادي ، ترجمة د. حسام محي الدين الالوسي ، ط٢، بغداد ، ١٩٨٦ .

(٢٦) د. فائق حمدي طهبوب ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(٢٧) وثائق عابدين / محفظة ٢٦٧، المرفق العربي للوثيقة التركية رقم ١٦٤ حمراء . المؤرخة ٢٥ ذي القعدة ١٢٥٤هـ .

(٢٨) وثائق عابدين / محفظة ٢٦٧ ، وثيقة ٧ اصلية ٥٠ حمراء بتاريخ ٢١ محرم ١٢٥٥ هـ ، مقتبس من فائق حمدي طهبوب ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ز

(٢٩) وثائق عابدين / محفظة ٢٦٦ ، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٨١ حمراء ٤٣ اصلية بدون تاريخ ؛ محفظة ٢٦٦ ، صورة الارادة التي كتبت بتاريخ ٣ ذي العقدة ١٢٥٥هـ رقم ٣٥ ؛ وثيقة ٢٦٩، وثيقة رقم ١٨ اصلية ٨٧ حمراء في ١١ ذي العقدة ١٢٥٥هـ ؛ محفظة رقم ٢٦٧ ، صورة المرفق العربي المؤرخ في ١٧ جمادي الثاني ١٢٥٥هـ من قبطان هنيل إلى خورشيد باشا . جميع هذه الوثائق مقتبسة من د. فائق حمدي طهبوب ، المصدر السابق ، ص ص ٨٦-١٩١ .

(٣٠) انظر الوثائق المشار لها في هامش (٢٩) .

(٣١) مقتبس من د. فائق حمدي طهبوب ، المصدر السابق ، الملاحق ، ص ص ٣١٣-٣١٥ .